التشبيه التمثيلي وصوره في معلقة امريء القيس دراسة تحليليّة بلاغيّة

Simile of *Tamṯīl* and its Shads in the poem Mualaqa of Imra-ul-Qyais

د/محمدايوب الرشيدى استادمساعد بكلية اللغة العربية الجامعة الإسلامية العالمية اسلام آباد

Abstract

Arabic literature is initially divided on two major parts; prose and poetry. Arabic poetry has earned great value among all Arabic and Non-Arabic speakers. The most vulnerable piece of poetry is called Mualaqat-Al-Saba. It is the collection of seven long esteemed poems that are measured as the tremendous literary out-come of the pre-Islamic era. This article attempts the rhetorical study of this excellent work، disclosing major figures of Simile of Tamṯīl.

Keywords: Simile، Tamṯīl Poetry، Mualaqat-Al-Saba

التمهيد

لا فرق بين التمثيل والتشبيه عند علماء اللغة وأهل المعاجم اللغوية،بل التشبيه والتمثيل والمثَل شيءٌ واحد عندهم[1]،فالتشبيه التمثيلي"هو التشبيه الذي يكون على شكل لَوْحَةٍ تُصَوِّرُ أكْثر مِنْ مفرد،ووجه الشبه فيه لا يكون مأخوذاً من مفردٍ بعينه، بل يكون مأخوذاً منْه ومن غيره،أو من صورٍ وأمورٍ متعددةٍ "[2]

وينقسم إلى القسمين:

أحدهما:التشبيه التمثيلي المتعدد:هو ما كان الوجه فيه منتزعا من أمرين أو عدة أمورٍ،لكن هذه الأمور لا ينضم بعضها إلى بعضٍ،وليس فيه ترتيب معينٌ،أو نسقٌ خاص،[3]بل هو على شكلٍ يُلاحظ فيه التقابل الجزيء بين المشبه و المشبه به[4].

فمثال الأول: كتشبيه الإنفاق في سبيل الله بإخلاصٍ، بالزّرع الَّذِي تُزْرَعُ فيه الحبُوبُ في أَرْضٍ طيّبَةٍ مُبَارَكَة، فَتُنْبِتُ الْحَبَّةُ منها سبع سنابل، في كُلّ سنْبُلةٍ مئة حبّة. هذا التشبيه نجده في قول الله عزّ وجلّ في "سورة البقرة"بقوله:"مَّثَلُ الذين يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ الله كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنبُلَةٍ مِّئَةُ حَبَّةٍ والله يُضَاعِفُ لِمَن يَشَآءُ والله وَاسِعٌ عَلِيمٌ"[5].

هنا نلاحظ أنّ الإنفاق يشبه عملية الزرع، وتنمية الله له يُشْبه النبت الجيّد، ومضاعفة الأجر تشبه تكاثر السنابل من الحبّة الواحدة، وتكاثُر الحبِّ في كلّ سنبلة[6].

وثانيهما:التشبيه التمثيلي المركب:هو ما كان وجه الشبه فيه منتزعا و مستخرجا من أمرين أو عدة أمورٍ،لكن هذه الأمور متناسقةً و مترابطةً فيما بينها،كما في كتاب الله عزّ وجلّ:"مثَلُ الذينَ حمُّلوا التوراةَ ثمّ لم يَحملوها كمثل الحمارِ يَحملُ أسفارا"[7]فوجه الشبه في الآية المذكورة منتزعٌ من أحوال الحمار وهو" أنّه يحملُ أسفار التي هي أوعية العلوم،ومستودع ثمر العقول،ثمّ لا يحس بما فيها ولا يشعر بمضمونها، ولا

يفرّق بينها وبين سائر الأحمال التي ليست من العلم في شيءٍ، ولا من الدلالة عليه بسبيلٍ فليس له ممّا يحمل حظ سوى أنّه يثقل عليه،ويكد جنبيه، فهو كما ترى مقتضى أمورٍ مجموعةٍ ونتيجة لأشياء ألفت وقرن بعضها إلى بعضٍ متناسقةٍ فيما بينها"[8].

فهذا التشبيه التمثيلي المركب،فوجه الشّبه فيه صورة منتزعة من متعدّد، والتشبيه قائم على تمثيل صورة ذات عناصر مختلفة بصورة ذات عناصر متعددة، والجامع بينهما وجه شبه يمثّل أيضاً صورة منتزعة من عناصر متعدّدة لكن بينها ترابط وتناسق.

وبعد هذا التمهيد إذْ نجد الخلاف بين آراء البلاغيين وعلى رأسهم قدوة البُلغاء الإمام عبد القاهر الجرجاني و بين السكاكي في التشبيه التمثيلي وبيانها وتعريفها،ونخلص فيما يلي ما يُهمّنا هنا.

رأي الإمام عبد القاهر الجُرجاني في التشبيه التمثيلي

قد فرّق الإمامُ عبد القاهر الجُرجاني بين التشبيه،و التشبيه التمثيلي ومن بعده من علماء البلاغة أمثال السكاكي،والقزويني،والفخر الرّازي،وغيرهم، و ذهبوا كلهم إلى عمومية التشبيه،و أثبتوا ببراهينهم أنّ التشبيه أعم من التشبيه التمثيلي،و التشبيه التمثيلي أخصُّ منه، كما يقول الإمامُ الجُرجاني بقوله:"اعلم أنّ التشبيه عامٌ والتمثيلَ أخصُّ منه،فكل تمثيلٍ تشبيهٌ وليس كلُّ تشبيه تمثيلاً"[9].

فأوّل من ذهب إلى التفريق بينهما هو الجُرجاني حقيقةً،ولم نجد من العلماء مَن سبقه،وأمّا اللّاحقين المتأخرين من العلماء الأجلاء فهم نهلوا من مناهله العلمية،واستقوا من ينابيعه المتدفّقة،فمن هذا المنطلق قام الإمامُ الجُرجاني بالتفريق بين التشبيه والتمثيل.فالتشبيه: هو أنّ وجه الشبه فيه أمرٌ بيّن لا يحتاج فيه إلى التأوّل،والتأوّل هوعودة وجه الشبه وإرجاعه إلى معنى يكون متحققا في الطرفين بوجهٍ من التلطف والحيلة والذكاء.

وأمّا التشبيه التمثيلي فهو ما كان وجه الشبه فيه أمراً محصّلاً بضربٍ من التأوّل،فثبت أنّ وجه الشبه في التشبيه بيّنٌ ظاهرٌ لتحقّقه في كلا الطرفين،فليس هنا حاجةٌ إلى تأوّلٍ وصرفٍ عن الظاهر، لكن الوجه،وجه الشبه،في التمثيل غيرُ ظاهرٍ؛لأنّه غيرُ محقّقٍ في كلا طرفي التشبيه،المشبه والمشبه به،فيحتاج في تحصيله إلى ضربٍ من التأوّل.

وعصارة القول بعد اللتي واللتيا:أنّ الفرق بين التشبيه والتشبيه التمثيلي عند الإمامِ الجُرجاني يتمثّل في وجه الشبه،فإذا كان وجه الشبه حسّياً،مفردا كان أم متعددا أم مركبا،أو عقليا حقيقيا ثابتاً في ذات الموصوف فهو التشبيه الخالص.

لكن إذا كان الوجه فيه عقليا غير حقيقي– مفردا كان أم متعددا أو مركبا-فهو التشبيه التمثيلي.

فمعناه إذا وُجد الشرطان في وجه الشبه – مفردا أو مركبا- فيصيرُ التشبيه تمثيليّا.

وأمّا الشرطان، فالأوّل منهما:وجه الشبه العقلي.

والثاني منهما:وجه الشبه غير الحقيقي.

آراء البلاغيين في التشبيه التمثيلي

وبعد رأي الجرجاني نجد هناك رأي علماء البلاغة في بيان التشبيه التمثيلي ،فمن هذا الرعيل يقول الإمام السكاكي:التشبيه هو وصف الشيء بمشاركته المشبه به في أمرٍ،وأمّا التمثيل فهو مختلف عن التشبيه

بحيث أنّ التشبيه متى كان الوجه –وجه الشبه- وصفاً غير حقيقي ومع ذلك هو منتزع من أمورٍ عدةٍ[10] فالسكاكي يُوافق الإمام الجُرجاني في وصف التمثيل في أمرٍ ، ويُخالفه في أمرٍ أخر.

وأمّا موافقته للجرجاني فهو شرطه في التمثيل: أنّ التشبيه متى كان وجه الشبه وصفاً غير حقيقي فمعناه يحتاج إلى التأوّل وبذلك ينص قول الجرجاني.

وأمّا مخالفته فهو في أمر وجه الشبه بحيث أنّه منتزعٌ من عدة أمورٍ،غيرَ مفردٍ، وقول الجرجاني في وجه الشبه عامٌ،أي كونه مفردا أو مركبا،بل يصير أمرُ التمثيل عنده،التأوّل دون الإفراد أوالتركيب كما ذهب إليه السكاكي.

وبعد السكاكي قول الخطيب القزويني معروف في أمر التمثيل هو مثل الإمام السكاكي في بعض الأمور عكس الجرجاني،و هو:أنّ وجه الشبه في التمثيل عنده مركبٌ حسيا كان أوعقليا،وفي الحقيقة أنّه خالف رأي السكاكي بأنّه ذهب إلى أنّ وجه الشبه العقلي المركب فقط،لكن الخطيب القزويني قال بأوسع ما عند السكاكي وهو: وجه الشبه العقلي أو الحسي.

وبعد السكاكي و الخطيب القزويني قول الفخر الرازي،وله رأيٌ خاص دونهما،وهوأنّ التمثيل عنده نوعٌ خاص من التشبيه.

أهمية التشبيه التمثيلي في معلّقةِ امريءِ القيس

لا يخفى أنّ للتشبيه التمثيلي خاصية معينة في المعلّقات كلها حيث إنّ أصحابها-الشعراء- أظهروا ما في داخلهم من مشاعر وأحاسيس،واستخدموا التمثيل في مواضع شتى،وصوّروا الأشياء مصبّغة بلون التمثيل الحي ثمّ عبّروها في بيئةٍ موحية متحركة حسب ظروفها الاجتماعية و السياسية والثّقافية، وبذلك صوّروا لنا صورة حية من البيئة العربية ومن حياتهم الجاهلية "بكل ما وجدوا فيها من إيجابياتٍ أو سلبياتٍ،محاسن أو مساوٍ،وقد قدموا التشبيه التمثيلي في معلّقاتهم على صورةٍ متحركة رائعةٍ،ورسموا به صورة واضحة لحياتهم البدويّة مع ما يختلج ويجول بين ضلوعها من الأماني والأمال"[11].

وعندما ننظر إلى استخدام التشبيه التمثيلي في المعلقات السبعة فنجد معلّقةَ امريءِ القيسِ قد امتازت بخصائص ومَميزاتٍ من بين المعلّقات الأُخَر ونالت من المحاسن و الرّوائع ما نالت،حتى لا يجد القاريء مثلها في الشعر الجاهلي ولا فيما بعدُ و من تلك الخصائص الرائعة استخدامُه أساليب البلاغة وأسرار الجمال،واعتنائَه بألوان التشبيه وصور التمثيل،ولاهتمامه البالغ قلّما وُجد في معلّقته بيتٌ أو شعرٌ خالٍ من ألوان التشبيه وصوره،بل قد يجد القاريء اللّماح خلال قراءته للمعلّقة تشبيهاتٍ بليغةً ،عذبةً كثيرةً، واستعاراتٍ جميلةً بالغة، وكناياتٍ أنيقةً ساحرة، وسوى ذلك من أدوات التعبير وألوان التمثيل، وأساليب البيان[12].

ومن ذلك يقول أبو بكر الأنباري أحسن ما قال امرؤ القيس في الأوصاف والتَّشبيه التمثيلي:

إذا ما الثُّريَّا في السَّماءِ تعرّضت.....تعرّض أثناء الوِشاح المفصّل[13]

فهذا البيت من أروع الأبيات التي نجد فيها التشبيه التمثيلي في معلقته عند الإمام الأنباري- في القصيدة التي تشمل واحد و ثمانين بيتا، ففيها صور التشبيه التمثيلي في النّسِيب،و الغزل، و وصف الليل، و وصف الشجاعة ،ووصف الفرس، و وصف قطيع من بقر الوحش ، و وصف المطر.

الملحوظة:ذكرناسابقاً أنّ مذهب الجرجاني يختلف عن السكاكي بأمورٍ ذكرتها في الصفحات الماضية، لان لايخفى على القارئ أنّ الأبيات القادمة و أمثلة التشبيه التمثيلي فيها غير تمثيل عند العلامة عبدالقاهر الجرجاني،[14]لأنّ التمثيل عنده هو منتزع من أمورعقليّة غيرحقيقية،-مفردا كان أو مركبا- ،وأكثر أمثلة الأبيات الأتية غير ذلك،لأنها حاصلة من أمور حسيةٍ غير عقليةٍ. لكنّ مذهبه خلاف السكاكي ولآخرين ، و نحن على مذهب الآخرين في معنى التمثيل.

وبعد الملاحظة الفت أنظار القرقارى إلى أبيات التشبيه التمثيلي في معلّقةِ امريءِ القيس دراسةً وتحليلاً، فنبدأ النّسيب:

صور التشبيه التمثيلي في النّسيب

كأنّي غَداةَ البَينِ، يَومَ تَحَمَّلُوا.....لدَى سَمُراتِ الحَيّ ناقِفُ حَنظَلِ
إذا ما الثُّريَّا في السَّماءِ تعرّضتْ.....تعرّض أثناءِ الوِشاح المفصّلِ [15]

البيت الأول:هنا تشبيه مركب لأشياء متعددّة مع المفرد وهو "ناقف حنظل"- المشبه به هنا ،والمشبه نفس الشاعر،و وجه الشبه فيه الحالة التي كان عليها الشاعر. و هذا تمثيل متعدد عند علماء البلاغة سوى الجرجاني؛لأنّه منتزع من أمورٍ حسيةٍ غير عقليةٍ.فوصف الشاعر حاله -حال المشبه-و هيئة وقوفه تحت ظلال السمرات،ينظر إلى أهل صاحبته ويبكي على فراق أهل تلك الدار؛لأنّهم على وشك الرّحيل[16]ويذرف دموعا غزيرةً مثل حال ناقف خنظل،و شبّه به نفسه؛لأنّ ناقف الخنظل تدمع عيناه لحرارة الحنظل و ريحها الكريهة[17]

البيت الثاني:تشبيه المركب بالمركب ،و هو تشبيه تمثيلي مركب ؛وهو تعرض الثّريا في السماء مع أ ثناء الوشاح المفصّل، فوجه التشبيه هناك منتزع من أمور متعدد متداخل.غرضه: بيان حالة المشبه في إيصاله وذهابه إليها وقت منتصف الليل لكي يترسّخ حالته في ذهن السامع.وتشبيهه فيه من أبلغ تشبيهات الشاعر،وهو تشبيه تمثيليٌّ [18] و ذكر الشاعر هنا وقت منتصف الليل بأجمل ذكر وأحسن تعبير،و هو ظهور الثّريا في السماء مثل زنار المرأة المرصّع بالآلئ التي تشد بين عاتقها و كشحها.

وتحدّث الشاعر في الشعر المذكور عن فتاته والثريّا في السماء ثمّ "شبّه إبداء الوِشاح الذي فُصل بين جواهره وخرزه بالذهب أو غيره عرضه،ثمّ شبّه نواحي المحبوبة بنواحي جواهر الوشاح،وشبّه كواكب الثّريّا بجواهر الوشاح المنظم"[19].

ووجه الشبه في الشعر كله هو البروز و اللمعان لأن الثرّيا تأخذ وسط السماء كما أنّ الوِشاحَ يأخذ وسطَ المرأة المتوشّحةِ[20].

صور التشبيه التمثيلي في الغزل

إذا قامتا تضوَّعَ المِسْكُ منهما.....نسيمَ الصَّبَا جاءَت بِرَيَّا القرنفُلِ

كبِكرِ المقاناةِ البياضِ بِصُفرةٍ.....غذاها نميرُ الماءِ غيرُ المحلّلِ

تَصُدّ وتُبدي عن أسيلٍ وتتقي.....بناظرةٍ من وحشِ وَجرَةَ مُطفلِ

وجيدٍ كجيدِ الرئم ليسَ بفاحشٍ.....إذا هي نَصتْهُ ولا بمُعطّلِ

وفرعٍ يغشى المَتنَ أسودَ فاحمٍ.....أثيثٍ كقِنوِ النخلةِ المتعثكلِ

تضيءُ الظلامَ بالعِشاءِ كأنّها.....منارةُ مُمسى راهبٍ مُتبتّلِ [21]

البيت الأوّل: هذا تشبيه المركّب بالمركّب؛وهوقيام - أم الرّباب وأم الحويرث- و تضوّع رائحة المسك منهما مثل نسيم الصبا التي جاءت محمّلة بريّ القرنفُلِ.وهذا تشبيه تمثيلي مركب عند علماء البلاغة ؛ لأن وجه التثبيه رُكّب من متعددٍ،فوجه الشبه بين قيامهما،ونسيم الصبا مع القرنفل؛هو الهيئة الحاصلة من قيامها و تضوّع رائحة المسك، و إتيان نسيم الصبا مع ريّ القرنفل على الكيفية المخصوصة التي في عين الشاعر، وغير تمثيل عند عبدالقاهر الجرجاني كما أسلفنا. و غرض الشاعر: تزيين المشبه وهو قيام كلتيهما في ذهن السامع.

البيت الثاني:وفيه تشبيه المفرد بالمركّب وهو بِكرِ المقاناةِ البياضِ بِصُفرةٍ غذاها نميرُ الماءِ، و هذا تمثيل متعدد؛ لأن وجه التشبيه منتزع من أمورمتعدد،وهوتشبيه العشيقة في اللون مثل الياقوت، بياض اللون مع امتزاج الصفرة فيها، ثم الماء الخالص من عذق هذا الياقوت.

البيت الثالث:يدل على تشبيه تمثيلي مركب؛ لأن وجه التشبيه فيه منتزع من أمور متعددٍ ، وهو أنّ عين المعشوقة مثل عين ظبي من وجرة حال كونها مطفلة، فيقول الشاعر: إنّ محبوبتي تنظر بنظرٍ فيه رونق وحسن وبهجة وجمال، مثل ظبي موضع وجرة التي تنظر إلى أولادها نظرات الحب و الحنوّ، وفي هذه النظرة تبلغ غايةَ السّرور و هذا هو مراد الشاعر هنا.

البيت الرابع: يشير إلى تشبيه المفرد بالمركب،وهو تشبيه جيد المحبوبة بجيد الظبي،مع أنّها ليست قبيحةً وإن تركت تزيين جسدها بالحلى والذهب، وتمثيل متعدد؛ لأن وجه التشبيه هنا منتزع من أمور، وهي:أنّ الشاعر شبّه جيد محبوبته بجيد الظبي مع أن جيدها ليس قبيحا ،ولا بمعطّل عن الحلى- الذهب والفضة والجواهر-.

البيت الخامس:تشبيه المفرد وهو كلمة "فرعٍ أثيثٍ " بالمركب وهو"كقِنوِ النخلةِ المتعثكلِ"في الشعر المذكور، يعني أنّ الشاعر يشبه شعرالمحبوبة في كثافته بقنو النخلة المتعثكل هنا.

وهذا تشبيه تمثيلي متعدد؛ لأن وجه التشبيه منتزع من أمور،وهي: تشبيه شعرالمحبوبة– الكثير المتداخل،المتدلي بقنو النخلة المتعثكل، فتنتزع منه اهئية شعرها في الكثرة، بقنو النخلة المتعثكل في عين الناظر.

البيت السادس: تشبيه المفرد و هو وجه المحبوبة هنا بالمركب وهو "منارةُ مُمسى راهبٍ مُتبتّلِ" ، و هذا تمثيل متعدد؛ لأنّ هناك وجه التشبيه هيئة منتزعة من أمورٍ،وهي: العشيقة أو وجهها مع "منارةُ مُمسى راهبٍ مُتبتّلِ".

محاولة الشاعر من تشبيهاته في الغزل: ولنجد الغزل هو ميدانُ رحبٍ عند أمير الشعراء؛ لأنه جُبل في طبعه حبّ الغزل والنساء و وصف مغامراته معهن كما التفت بعد ذكر النّسيب إليه وانتقل بسرعةٍ من أسلوبٍ إلى آخر،كما قال في أوّل شعره:إنهما-أُمّ الحويرث،وأمّ الرباب-إذا تركتا مكانتهما وتحركتا منصرفين إلى انجاز عملٍ،فاحت منهما رائحةُ المسك كما تفوح رائحة القرنفل،فهذا تشبيه تمثيليٌّ،وفائدته الوضوح والبيان.[22]

وكذلك بيّن أوصاف جسم محبوبته و أعضائها بصورة تشبيهٍ تمثيلي حسيّ حيث ما لا مزيد عليه، وهذا يدل على كثرة حفاوة الشاعر بالنساء و اعتنائه بوصفهن،حتى تجاوزت أبياته في أوصاف النساء ثلاثين بيتا.

صور التشبيه التمثيلي في وصف الليل

و ليلٍ كموج البحر أرخى سدوله.....عليّ بأنواع الهموم ليبتلي

فيالَكَ من لَيْلٍ كَأَنَّ نُجومَه.....بأَمراسِ كتّانٍ إلى صُمِّ جَنْدَلِ[23]

تحليل البيت الأوّل:هذا تشبيه المفرد- الليل- بالمركب – كموج البحر مرخ سدوله- فالمشبه واحد والمشبه به أمور فلذلك يُعدّ هذا البيت من أهم نماذج التشبيه التمثيلي المتعدد،لأن وجه التشبيه فيه هيئة منتزعة من أمور متعدد، وهي الليل مع موج البحر مرخ سدوله بأنواع الهموم.

البيت الثاني:نجد فيه تشبيه المفرد-ليله مع الهموم–بالمركب،فشبّه الشاعر هنا ليله الطويل، وبطءحركة نجومه وجمادها بالشيء الثقيل الجامد مثل الصخر أو السفينة الجامدة المرتبطة بالأحبال القويّة في البحر.

هذا تشبيه تمثيلي متعدد؛ لأن وجه التشبيه فيه هيئة منتزعة من أمور.

ثُمّ هذا التشبيه متفرّع من الكناية،ويوضح هذا الأمر بعد الغوص والتعمق فيه، لأنّ الشاعر يحسّ ليله الذاتي المتمثل بهمومه وأحزانه ومصائبه،مستمرًا وطويلاً، ممّاجعله يشعر ويتراءى له ليل الطبيعة طويلا بطيئ الزوال، ويخيّل إليه أنّ كواكبَ ونجوم هذا الليل بطيئة الحركة جامدة فوقه،كأنها ربطت بحبل قوي شديد الفتل محكمه إلى الصخور القاسية الصمّاد الصّلاة[24]وغرضه:بيان حال المشبه،و هو ذكر همومه و ابتلاءاته التي تتخيّل بالليل الطويل الذي لايمضي على الإنسان كما لايخفى.

قصد الشاعر:انتقل الشاعر من أسلوب الغزل إلى وصف الليل،وبيّن وصفه بأروع بيان وأجمل أسلوب وهو أن البحر مع كثرة مائه طويلاً وعريضًا، ويمضي فيه مائه مع صوت الأمواج كل حين، فعندما يسافر فيه الإنسان،وينظر إلى طوله وعرضه ثم يتفكر فيه أنه ليس له النهاية، ولايوجد له سبيل الخروج،فكذلك هذا الشاعر يفكّر في مشاكله وقضاياه ومصائبه وأخزانه وهمومه مثل أمواج البحر،حتى لا يصبح ليله الطويل،ليخرج من همومه وابتلاءاته ،وكذلك"القارئ يَقف أمام هذه القطعة الفنية الجميلة متأملاً معجباً مشدوهاً من روعة البيان وجمال التصوير و رقة التعبير وقوّة التأثير ومن هذه الشخصية الفنية الكاملة التي تبرز من هذه الأبيات في وضوحٍ وقوّة وجمالٍ،و ليل رهيب، ظلماته كالموج الُّلجيّ؛وقد أقبل على الشاعر،فأثار في نفسه الذكريات،وأهاج كوامن الأحزان وبعث الهموم من مرقدها، وترك النفس موزعة حيرى مفزعة"[25].

صور التشبيه التمثيلي في وصف الشجاعة

وَوادٍ كجَوْفِ العَيرِ قَفْرٍ قطعتُهُ.....بِهِ الذئبُ يَعوي كالخَليعِ المُعَيَّلِ[26]

تحليل البيت:(المصرعة الأولى)هذا من تشبيه المفرد،واد،بالمركب،كجوف العير قفر، والجمع،لأن المشبه أمر واحد، والمشبه به أمور كما هو واضح،وهذا تمثيل متعدد۔

المصرعة الثانية"يَعوي كالخَليعِ المُعَيَّلِ":هذا تشبيه المفرد الذئب،بالمركب،كالخليع المُعَيَّلِ،ويُعدّ هذا التشبيه من قسم التشبيه التمثيلي المتعدد،لوجه الشبه المنتزعة من أمور عدةٍ، وهي عواء الذئب مع الخليع المعيّل۔

محاولة الشاعر:و حاول الشاعر من التشبيهين المذكورين في شعر واحدٍ بيان شجاعته:،وجرأته، وصبره وقدرته على الجوع وتحمّل العطش ، فيذ كر أنّه كثيرًا ماكان يجتاز عبر أسفاره و رحلاته،واديا أرضه جرداء قاحلة، لانباتَ فيها،و لاماءَ، ثم لايعيش هناك سوى الذئاب المفترسة الشرسة.و أنّه شبّه الوادي في خلائه من الإنس ببطن العير، وهو الحمار الوحشي إذا خلا من العلف۔

وهذا من أجمل أساليب الشاعر وأروعه في التشبيه التمثيلي مع أنّه أورد التشبيهين في شعر واحد[27]

صور التشبيه التمثيلي في و صف الفرس

مِكَرٍّ مِفَرٍّ مُقْبِلٍ مُدْبِرٍمَعاً.....كَجُلْمُودِ صَخْرٍ حَطَّهُ السَّيْلُ مِنْ عَلِ

دَرِيرٍ كَخُذْرُوفِ الوَلِيدِ أَمَرَّهُ.....تَتابُعُ كَفَّيْهِ بِخَيْطٍ مُوَصَّلِ[28]

تحليل البيت الأوّل:هذا تشبيه المركب بالمركب،ويُعدّ من قسم التشبيه التمثيلي،لأن وجه التشبيه هيئة منتزعة من أمورمتعدد،وهو أنّ كرّفرسه،وفرّه،وإقباله وإدباره في آنٍ واحد مع جلمود صخر حطّه السيل من عل[29]۔

البيت الثاني:فيه تشبيه المفرد بالمركب،،وتمثيل لوجه التشبيه المنتزعة من دِرارة فرسه بخذروف الوليد أمرّه تتابع كفيه بخيط مؤصّل.

قصد الشاعر من تشبيهاته:يصف الشاعر في شعره الأوّل وصف فرسه بقوّته وقدرته، والكر على الأعداء،والفرار من ساحة المعركة و كل منه في آنٍ واحد[30].

وشبّه الشاعر في الرابع جريه خفةً وسرعةً و قوّة اندفاع مع الخذروف الصبي الذي يعتمده ويحرّكه و يدرّره حتى لا تكاد ترى لشدّة مرّها و سرعة اندفاعها! .

خلاصة القول:وفي الأشعار السالفة الذكر،التشبيه الأوّل من أروع تشبيهات الشاعر في وصف الفرس من حيث اجتمع فيه عدة صفاته متضادة في شعر واحد،وليس الهدف من تشبيه المذكور أن يشبّه الفرس بالحجر فقط،بل هو تشبيه تمثيلي منتزعٌ من الهيئة الحاصلة من جري الفرس بآنٍ واحد[31].

وشعره المذكور يدل على أبدع نسجه وابتكاره في التشبيه التمثيلي بأحسن أسلوب وأجمل بيان، ويتجلى من ملكة الشاعر وقدرته الباهرة على أساليب بديعة وصور مبتكرة حسنة، وبذلك يعجز نظرائه عن مهاراته.

و أمّا في البيت الأوّل "مكر،مفر،مقبل،مدبر"فاجتمع الشاعر فيه أربع الصفات المتضادة للفرس في شعر واحد،حتى لا توجد مثله في معلّقته كلها. فهذه الأمور تدل على شدة اعتناء الشاعر ودقّته وتعمّقه في أوصاف الفرس أيضا كما في غيره[32].

صور التشبيه التمثيلي في قطيع من بقر الوحش

فَعَنَّ لَنَا سِرْبٌ كَأَنَّ نِعَاجَهُ.....عَذَارَى دَوَارٍ فِي مُلاءٍ مُذَيَّلِ

فَأَدْبَرْنَ كَالجِزْعِ المُفَصَّلِ بَيْنَهُ.....بِجِيْدٍ مُعَمٍ فِي العَشِيرَةِ مُخْوَلِ[33]

تحليل البيت الأول:هذا تشبيه المفرد،تشبيه البقر الوحش،بالمركب وهي العذارى في بياض ألوانها، مع طول أذيالها وشعرها وحسن مشهن وتبخترهن[34]،وهذامن قسم التشبيه التمثيلي؛لأن وجه التشبيه هيئة حاصلة من أمورٍ مختلفة.

البيت الثاني:و التشبيه في البيت المذكور،تشبيه المفرد بالمركب،و هذا تشبيه تمثيلي،لوجه التشبيه المنتزعة من عدة أمورٍ.

محاولة الشاعر:وهو يقول:إنه خرج قاعدا على فرسه للصيد مع ثلّة من أصحابه، فاعترضهم قطيع من إناث البقر الوحشى،يلذن ويدرن خلف بعضهن من بعض،كأنّهن كواعبات أبكار مترهبات يدرن حول صنم "دوار" وهن يرتدين ثياباً طول أذيالها بيضاء كأنها ملاحف بيض.

ويقول في الثاني؛وهنا بدأت معركة الحصان و البقر الوحشي، فأخذ الحصان يصول ويجول، ويضرب كلها حتى صرع الكثير منهن، بِدُونِ أن يظهر عليه أيّ أثر للتعب أو الجهد،فلم تخرج منه قطرةُ عرق، وخضب صدره بدماء المتقدمات من القطيع[35].

نتيجة القول: و الأبيات المذكورة من أحسن أساليب الشاعر بأن انتقل من وصف الفرس إلى الصيد، ثم انظر إلى حسن تشبيه إناث البقر الوحشي مع عذارى الدوار التي يدرن حول صنم دوار في الحلل، طويلة الذيل بيضاء.

ثم اتبع بذكر فرار تلك البقرات الوحشيّة،وشبّه حالتهن بريقاوسحراً بالخرز المفصّل باللآلئ وقلادتها وضعت في عنق صبي منعم مترف كريم الأصل.

فهذا من حسنها، وبدعها المعجبة،اللطيفة في التشبيه، و الرّقيقة في الوصف!!![36].

صور التشبيه التمثيلي في و صف المطر

أَصَاحِ تَرَى بَرْقاً أُرِيكَ وَمِيْضَهُ.....كَلَمْعِ اليَدَيْنِ في حَبِيٍ مُكَلَّل

كأَنَّ ثَبِيراً في عَرَانِينِ وَبْلِهِ.....كَبِيرُ أُنَاسٍ في بِجادٍ مُزَمَّلِ[37]

تحليل البيت الأوّل:هذاتشبيه المفرد"بَرْقاً"بالمركب"كَلَمْعِ اليَدَيْنِ"،والجمع،لأن المشبه واحد،والمشبه به متعدد،و من ذلك يُعدّ هذا التشبيه من قسم التشبيه التمثيلي،لأن وجه التشبيه هيئة حاصلة من أمور مختلفةٍ دون أمرٍ واحد.

البيت الثاني:هذا تشبيه المفرد بالمركب،وهذا أيضا تمثيل؛لأن وجه التشبيه هنا هيئة منتزعة من أمورٍ متعددٍ.

قصد الشاعر:و هو يخاطب صاحبه الناظر إلى السماء في البيت الأوّل،ويسأله يا صاحبي!هل ترى برقًا أريك لمعانه وتلألؤه وتألّقه في سحاب متراكم بعضها ببعض صار أعلاه كالإكليل من نور أو في سحاب متبسّم بالبرق مبشّرًا بقدوم المطر يشبه برقه تحريك اليدين؟ أراد أنه يتحرك تحركهما[38].

وشبّه في البيت الثالث جبل ثبير بكبير أناس-سيد أناس-يتدثّر بكساء مخطّط حين غشيه أوائل مطر هذا السحاب بضروبه وأنواعه[39].

"وقد لاحظنا أنّ التشبيهات لدى امرئ القيس تتنازعها ثلاثَةُ محاوِرَ كُبرى الأساسية وهي البياض، واللمعان، والنضارة، والصفاء،وما في حكمها.ثمّ الحركة والتبختر والاهتزاز وما في حكمها. ثمّ الطول والاعتدال والنحافة والرِّقّةُ والاستواء. ونسعى الآن إلى متابعة ذلك خلال شعره"[40].

النتائج والإقتراحات

ملخصا لكل ما سبق يمكن لنا أن نقول،أنّ للبحث النتائج والإقتراحات الآتية:

أقول كماخص أنّ التشبيه التمثيلي أمر ذو أهمية كبيرةٍ،وليس هومثل عامة التشبيه وأنواعه كما يُفهم؛لأنّ التمثيل أو التشبيه التمثيلي يدور أمره على"وجه الشبه"المنتزع من عدة أمورٍ منضمّةٍ ومتداخلةٍ أو غير منضمّةٍ،و ليس التشبيه و أنواعه كذلك.

استنتج البحث أن مفهوم التشبيه ضيق عند مدرسة الجرجاني مع ذلك توسع مفهومه عند غيره،من مدرسة السكاكي توسيعا كبيرا،لكن مدرسة السكاكي أوسع منها في بيان التمثيل وأشمل ومدرسة الجرجاني أدقّ فليُتأمّل.

اعتنى البحث عنايَةً كبيرة بالتحليل،والتمثيل لمعلقة إمرئ القيس واحتوت المعلقة في أمر التشبيه التمثيلي على سبعة عشرة بيتا،وأمّا عامة أنواع التشبيه في أبيات معلقته فهي متجاوزة عن ثلاثين بيتا.

قسّم البحث أبيات التمثيل وقدّم صوره كنماذج شعريةٍ حسب الموضوعات المتنوّعة، وهي:ذكر صور التشبيه التمثيلي في النّسِيب،و الغزل،ووصف الليل،ووصف الشجاعة،ووصف الفرس، ووصف قطيع من بقر الوحش،و وصف المطر؛لكي يستفيد القاري حسب ذوقه ومقداره.
اعتبر البحث أنّ مدرسة السكاكي و من تبعه من جمهرة البلاغيين أدق في دراسة التشبيه التمثيلي بأمورٍ حسية غير عقليةٍ دون غيرها.
اقترح البحث أنّ المعلقات السبع ديوان العرب ففيها علوم العربية من الفروعية بعد ، كتاب الله وأحاديث الرّسول،فتحتاج في دراسات البلاغة أن يهتمّ بها حفاوةً تامة واعتناء بالغا حسب ما يستمد ويستدل بها في جميع نواحي اللغة هذه الخالدة.

الهوامش والمصادر

[1] الجوهري(أبو نصر إسماعيل بن حماد الفارابي)(م:393ه)الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، ج6، ص2236، تحقيق:أحمد عبد الغفور عطارالناشر: دار العلم للملايين،بيروت الطبعة: الرابعة، 1987م.الفيروزآبادى(مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب)(م:817ه)القاموس المحيط،ج1،ص1056، تحقيق:مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة،الناشر: مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت،لبنان،الطبعة:الثامنة،2005م

[2] الميداني(عبدالرحمن بن حسن حَبَنَّكَة)البلاغة العربية،دارالقلم،دمشق،بيروت،الطبعة: الأولى 199م،ج2،ص186

[3] ايضاً:ج2،ص188

[4] ايضاً:ج2،ص186

[5] البقرة:261/1

[6] البلاغة العربية،ج2،ص186

[7] الجمعة:5/62

[8] الجرجانی(عبد القاهربن عبد الرحمن)أسرار البلاغة،الناشر:دار الكتب العلمية،بيروت،الطبعة: الأولى 1422هـ، ص77

[9] أسرار البلاغة ص80

[10] السكاكي(يوسف بن أبي بكر بن محمد السكاكي الحنفي أبو يعقوب)مفتاح العلوم،دار الكتب العلمية،بيروت لبنان،ص 349

[11] عبد البصير،التشبيه التمثيلي في الشعر الجاهلي،ص104رسالة ماجستير،غير مطبوعة

[12] أشعار الشعراء الستة الجاهليين،ص23

[13] الزوزني شرح المعلقات السبع ص 11،مكتبة البشرى كراتشي،باكستان

[14] أسرار البلاغة،ص85،80

[15] التبريزي(ليحيى بن علي بن محمد الشيبانيّ،أبوزكريا)شرح القصائِد العشر،إدارة الطباعة المنيرية،عام النشر: 1352،ص7

[16] الجُمحي(محمدبن سلّام بن عبيد الله أبوعبد الله)طبقات فحول الشعراء، المحقق:محمود محمد شاكر الناشر: دارالمدني،جدة،ص83

[17] شرح القصائِد العشر،ص7

[18] التشبيه التمثيلي في الشعر الجاهلي،ص104

[19] ايضاً:ص116

[20] الزوزني(الحسين بن أحمد بن الحسين)شرح المعلقات السبع،الناشر:داراحياء التراث العربي،الطبعة: الأولى، ص76

[21] ايضاً

[22] أشعار الشعراء الستة الجاهليين،ص12

[23] الزوزني شرح المعلقات السبع،ص36

[24] أشعار الشعراء الستة الجاهليين،ص8

[25] شرح المعلقات التسع،منسوب لأبي عمرو الشيباني مؤسسة الأعلمي للمطبوعات،بيروت،لبنان،ص148

[26] العمدة في محاسن الشعر وآدابه،ج1،ص186

[27] شرح ديوان امرئ القيس،ص 52

[28] الزوزني شرح المعلقات السبع ص28

[29] العمدة في محاسن الشعر وآدابه،ج2،ص93

[30] السبع المعلقات"مقاربة"للدكتورعبد الملك مرتاض،من منشورات اتحاد الكتاب العرب،بيروت، 1998م ص18

[31] التشبيه التمثيلي في الشعر الجاهلي،ص109

[32] شرح القصائِد العشر،ص38

[33] الزوزني شرح المعلقات السبع،ص28

[34] التشبيه التمثيلي في الشعر الجاهلي،ص111

[35] شرح ديوان امرِئ القيس،ص38

[36] شرح المعلقات التسع،ص163

[37] الزوزني شرح المعلقات السبع،ص38

[38] شرح ديوان امرِئ القيس،ص40و45

[38] أشعار الشعراء الستة الجاهليين،ص22/شرح ديوان امرِئ القيس،ص 42

[39] الجندي(علي) في تاريخ الأدب الجاهلي،مكتبة دار التراث،طبعة دار التراث الأول.1991م، ص193

[40] السبع المعلقات"مقاربة "للدكتورعبد الملك مرتاض،ص207،206